التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى
اسم الله "الشافي" أُنمُوذجًا

دكتور/ أمين عبيد فهمي مهدي
المدرس بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب- جامعة سوهاج

الملخص

يتناول هذا البحث التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسني، "اسم الله الشافي أنموذجًا"، وذلك من خلال التمهيد: وفيه التعريف بمصطلح التنزيل، ومعنى المقاصد، والمراد بأسماء الله الحسنى، ثم مفهوم التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى كمركب إضافي .المبحث الأول: أهمية التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى: ويشتمل على مطلبين، المطلب الأول: تحقيق المقاصد المنوطة بأسماء الله الحسنى، المطلب الثاني: ضبط أفعال المكلفين بمقاصد أسماء الله الحسنى، المبحث الثاني: شروط التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى وقواعده، ويشتمل على خمسة مطالب: المطلب الأول: التيقن من أن أسماء الله معللة، المطلب الثاني: فَهْمُ أسماء الله الحسنى ومعرفة دلالتها، المطلب الثالث: التمكن من فقه المقاصد، المطلب الرابع: تحصيل ملكة التنزيل، المطلب الخامس: ما يجب توافره في المتصدي للتنزيل المقاصدي، المبحث الثالث: التنزيل المقاصدي لاسم الله الشافي، ويشمل على أربعة مطالب، المطلب الأول: التعريف باسم الله الشافي، المطلب الثاني: اليقين بأن الله وحده هو الذي يملك الشفاء، المطلب الثالث: حسن التوكل على الله واللجوء إليه، المطلب الرابع: عدم اليأس من رحمة الله عند الابتلاء أو المرض، ذاكرًا مع كل مقصد التعريف به ووسائل تنزيله على الواقع، ثم الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التّنزيل المقاصدي، أسماء الله الحسنى، أهمية التّنزيل، شروط التّنزيل، اسم الله الشافي.

Abstract:

This research deals with the intentional download of the names of God, "The Healing Name of God as a model", through the preamble: in which the definition of the term download, the meaning of the purposes, and what is meant by the names of God, then the concept of the intentional revelation of the names of God as an additional compound. The first topic: the importance of intentional revelation For the Beautiful Names of God: It includes two demands, the first requirement: the fulfillment of the purposes entrusted to the names of God, the second requirement: controlling the actions of those charged with the purposes of the names of God, the second topic: the conditions and rules for the intentional revelation of the names of God, and includes five demands: The first requirement: certainty of The names of God are justified, the second requirement: understanding the names of God and knowing their significance, the third requirement: mastery of jurisprudence of the purposes, the fourth requirement: the acquisition of the faculty of revelation, the fifth requirement: what must be available in the one who addresses the intentional revelation, the third topic: the intentional revelation of the healing name of God, It includes four demands, the first requirement: defining the name of God the Healer, the second requirement: certainty that God alone has the power to heal, the third requirement: good reliance on God and recourse to Him, the fourth requirement: not to despair of the mercy of God To God when afflicted or sick, mentioning with each purpose of defining Him and the means of bringing it down to reality, then the conclusion: it includes the most important results, recommendations, then a list of sources and references.

Keywords, Makassidi's application, Greatest Names the best importance of application, controls of application , Allah" Healer ".

المقدمة

الحمد لله الكبير المتعال، له الأسماء الحسنى والصفات العليا والمجد والكمال، نحمده ونستعينه ونستهديه، فإنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّ اللهم وبارك عليه وعلى آله أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين،﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2]،﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3]، وبعد...

فإن التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى من أهم المجالات والآفاق التي يجب ارتيادها، فهي من أعظم ما يُقوّي الإيمان ويَجلبُ المطلوب، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

ولما كانت الأحكام الدينية تتنوع إلى أحكام عقدية، تتعلق بالإيمان القلبي، وأحكام شرعية، تتعلق بالسلوك العملي، فإن التنزيل المقاصدي للعقيدة يكون باليقين الثابت بحقانية التعاليم العقدية، يقيناً لا يراوده الشك بأي حال، ثم اتخاذ تلك التعاليم مرجعًا في التصرفات السلوكية كلها، من حيث تنزيلها في واقع الحياة.

لذا جاءت هذه الدراسة تهدف إلى تنزيل مقاصد العقيدة من خلال التعريف بالتنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى، وبيان أهميته، ومعرفة شروطه، والتطبيق على اسم الله "الشافي"؛ لربط قلوب العباد به، وترجمته على الواقع، لأن الابتلاء بالمرض النفسي أو العضوي أمر يشق على الإنسان كثيرًا، حين يتألم جسده ويبحث عن دواء فلا يجده، وهناك بعض الأطباء ينفرون المريض من الشفاء، بأن هذا المرض لا شفاء له، فحينها يستبشر باسم الله الشافي، الذي ما أنزل داءً إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله، فيعلن رضاه بقسمة مولاه، ويتخذ من بلائه مطيةً لبلوغ مرماه.

---

١ – سورة آل عمران، الآية (١٠٢).
٢ – سورة النساء الآية (١).
٣ – سورة الأحزاب الآية (٧٠– ٧١).
٤ – سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

أسباب اختيار الموضوع:

أولًا: توسيع الدرس المقاصدي بتوجيهه للبحث في التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى.

ثالثًا: بيان سبل ممارسة التنزيل المقاصدي في مجال العقائد.

ثالثًا: الحاجة لبيان منهج التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسني من خلال بيان أهمية هذا المنهج وشروطه.

رابعًا: بيان مكانة التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى ودورة قي ترسيخ الإيمان وتحويله لسلوك واقعي.

خامسًا: عدم وجود دراسات معنية بالتنزيل المقاصدي العقدي.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات متعلقة بالتنزيل العقدي، وإنما وقفت على بعض الدراسات التي لها صلة بموضوع البحث، منها الآتي:

١- تنزيل الأحكام مقاصديًا(مفهومه وشروطه-قواعده وتطبيقاته)، للدكتور: حسني خيري طه، بحث منشور ضمن كتاب: مقاصد الشريعة بين المدارسة والممارسة، دار اليسر، ط١، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، عُنِيَ بتنزيل الأحكام الفقهية مقاصديًا، وقد أفدتُ منه في صياغة خطة البحث.

٢- التطبيق المقاصدي للأحكام الشرعية (حقيقته- حجيته- مرتكزاته)، للدكتور: عبدالرحمن إبراهيم زيد الكيلاني، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية-جامعة آل البيت، المجلد الرابع- العدد الرابع، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، عُنِيَ هذا البحث بالمرتكزات العامة لتطبيق الأحكام الفقهية تطبيقًا مقاصديًا.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء مفهوم التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى، ثم استنباط المقاصد المتعلقة بالإيمان باسم الله "الشافي"، وتنزيلها على الواقع.

محتوى الدراسة:

تحتوي الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

المقدمة: وتضم أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

التمهيد: التعريف بمصطلح التنزيل، ومعنى المقاصد، والمراد بأسماء الله الحسنى.

المبحث الأول: التنزيل المقاصدي وأهميته.

المبحث الثاني: شروط التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى.

المبحث الثالث: التنزيل المقاصدي لاسم الله الشافي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

يتناول التمهيد التعريف بمصطلح التنزيل، ومعنى المقاصد، والمراد بأسماء الله الحسنى، على النحو الآتي:

أولًا:تعريف التنزيل:

التنزيل لغةً: من(نَزَلَ) النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط مِنْ عُلْوٍ إِلَى سُفْل، فَيُقَالُ نَزَلْتُ بِهِ وَأَنْزَلْتُهُ وَنَزَّلْتُهُ وَاسْتَنْزَلْتُهُ بِمَعْنَى أَنْزَلْتُهُ. والنزول: الحلول. وَالتَّنْزِيلُ: تَرْتِيبُ الشَّيْءِ وَوَضْعُهُ مَنْزِلَهُ[1]. فالتنزيل لغةً: إحلال الشيء محله.

التنزيل اصطلاحًا: إيقاع الأحكام على الواقع، لقول الشاطبي: " الدَّلِيلَ الْمَأْخُوذَ بِقَيْدِ الْوُقُوعِ مَعْنَاهُ التَّنْزِيلُ"[2]، وقوله أيضًا: " الْأَمْرُ بِالْمُطْلَقَاتِ يَسْتَلْزِمُ قَصْدَ الشَّارِعِ إِلَى إِيقَاعِهَا، كَمَا أَنَّ النَّهْيَ يَسْتَلْزِمُ قَصْدَهُ لِتَرْكِ إِيقَاعِهَا" [3].

وقال الدكتور عبدالمجيد النجار: " ونعني بالتنزيل صيرورة الحقيقة الدينية، التي وقع تمثّلها في مرحلة الفهم، إلى نمط عملي، تجري عليه حياة الإنسان في الواقع، عقيدةً موجهةً لجميع مناشط الإنسان، في وحدة وتناسق، وسلوكاً فرديًّا واجتماعيًّا، ينبثق من تلك العقيدة، ليوجه حياة الإنسان في جميع شعابها"[4]

ويفهم من كلام الشاطبي– رحمه الله– أن مقصود الأمر أن يطبق الفعل، وتطبيق الدليل على حادثة محددة يستلزم معرفة بعض الأمور المحيطة بالحادثة، فعندما يتعبد المريض باسم الله الشافي فلا بدَّ من أن يعتقد أن لا شافي إلا الله وحده، فيعتقد أن الشفاء له وبه ومنه، وأن الأدوية أسباب يخلق الله عندها فعله.

ثانيًا: تعريف المقاصد:

المقاصد لغةً: جمع مَقْصِد، وهو ما تقصده وتريد الوصول إليه، والقصد: إِتْيَانُ الشَّيْءِ وأمِّه، وبَابُهُ ضَرَبَ تَقُولُ: (قَصَدَهُ) وَقَصَدَ لَهُ وَقَصَدَ إِلَيْهِ كُلُّهُ بِمَعْنًى وَاحِد، وَ(قَصَدَ) يطلق في اللغة ويراد به عدة معانٍ، منها: الغاية والاعتزامُ والتَّوَجُّه والنُّهوضُ

١– انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر–دمشق، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٥/ ٤١٧، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ٢/ ٦٠٠.

٢ – الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان–القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٣/ ٢٩٢.

٣ – نفس المرجع ٣/ ٣٧٤.

٤ – في فقه التدين فهما وتنزيلًا: د. عبد المجيد النجار، سلسلة كتاب الأمة– قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١٠هـ، ٢/ ١٥، ١٦.

نحوَ الشيْءِ، والمدلول والمضمون، فمقصد الكلام أي: مدلوله ومضمونه، والاستقامة والاعتدال، والأمُّ والإتيان، والعدل والإنصاف[١].

قال "ابن منظور": "قصد: الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ. قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصد. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وعلى الله قصد السبيل} [٢]؛ أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ[٣].

وأقرب معانـــي المقاصد لهذه الدراسة، الغاية والاعتزامُ والتَّوَجُّه والنُّهوضُ نحو الشيء، وإن كانت بعض المعاني الأخرى تدخل في السمات العامة للشريعة الإسلامية.

المقاصد اصطلاحًا: عرفها " نور الدين الخادمي" بقوله: " المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها، سواء أكانت حكمًا جزئية أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، **وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله تعالى، ومصلحة الإنسان في الدارين**"[٤].

وعرفها الدكتور محمد سعد اليوبي بأنها: " المعاني والحكم ونحوها التي رعاها الشارع في التشريع عمومًا وخصوصًا، من أجل تحقيق مصالح العباد"[٥].

ثالثًا: المراد بأسماء الله الحسنى:

الاسم لغةً: " مشتقٌّ من السُّمُو، وَهُوَ الرِّفْعة، وَالْأَصْل فِيهِ سِمْوٌ بِالْوَاو، وَجمعه أَسْمَاء، مثل قِنْو وأَقْناء"[٦]، وقال أبوالعباس:" الاسْمُ رَسْمٌ وسِمَة تُوضَعُ عَلَى الشَّيْءِ تُعرف بِهِ"[٧]، وَيُقَالُ: " إِنَّ أَصْلَ " اسْمٍ " سِمْوٌ، وَهُوَ مِنَ الْعُلُوِّ، لِأَنَّهُ تَنْوِيهٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى الْمَعْنَى"[٨].

الاسم اصطلاحًا: قال الجرجاني: "الاسم: ما دلَّ على معنى في نفسه ...والاسم الأعظم: هو الاسم الجامع لجميع الأسماء. وقيل: هو الله؛ لأنه اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات، أي المسماة بجميع الأسماء"[٩].

---

١ – انظـــــر: مختار الصحاح: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيـروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، مـــــادة (ق ص د) ص٢٥٤، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (ق ص د) ٢/ ١٦١٧.

٢ – سورة النحل، الآية (٩).

٣ – لسان العرب: ٣/ ٣٥٣.

٤ – الاجتهاد المقاصدي: نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة الرشد–الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ١/ ٣٨.

٥ – مقاصـــد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٧.

٦ – تهذيب اللغة ١٣/ ٧٩.

٧ – لسان العرب ١٤/ ٤٠١.

٨ – معجم مقاييس اللغة ٣/ ٩٩.

٩ – التعريفات، ص ٤٢.

وقيل: " أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم"(١).

فالأسماء الحسنى هي التي يدعى الله بها، والموافقة للنص الشرعي – الكتاب وصحيح السنة–، وتقتضي المدح والثناء بنفسها. قال ابن القيم – رحمه الله– " وَمَا كَانَ مُسَمَّاهُ مُنْقَسِمًا إِلَى كَامِلٍ وَنَاقِصٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، لَمْ يَدْخُلِ اسْمُهُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى" (٢). فلا بدَّ من صحة الإطلاق في أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن المراد بالتنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى: هو تطبيقها على محالِّها في الواقع بما يحقق مقاصدها، وزيادة فهمها ، وتعميق الإيمان بها، والإجابة عن قضايا العصر اعتقادًا، وتوجيه الفعل الإنساني تسديدًا. وهو الأصل، الذي ينبني عليه التنزيل المقاصدي لأحكام الشريعة العملية؛ إذ الإيمان بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم الذي حمّله الرسالة المشتملة على الشريعة هو المبرر لأصل التنزيل المقاصدي بالشريعة أساسًا؛ ولذلك فإن العلاقة بينهما علاقة تلازم، يفضي انفصالها إلى عدم تحقيق التنزيل بالصورة المطلوبة.

١ – التعريفات الاعتقادية: سعد بن محمد بن على آل عبداللطيف، دار الوطن، ص ١٢٩.

٢ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيـروت، ط٣، ١٤١٦ هـــ – ١٩٩٦م، ٣/ ٣٨٤.

المبحث الأول: أهمية التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى

تبرز أهمية التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى في تحقيق المقاصد المنوطة بها، وضبط أفعال المكلفين، وبيان ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تحقيق المقاصد المنوطة بأسماء الله الحسنى:

كل اسم من أسماء الله الحسنى له مقاصد معينة، فاسمه الغني من مقاصده استشعار العبد عظمة الله تعالى وغناه، واسمه القريب من مقاصده سكينة القرب وتركما يباعد القلب عنه.

فالتنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى يحقق مقاصد تلك الأسماء، وإذا تحققت تلك المقاصد حصَّل الإنسان سعادة الدارين، " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله – صلى الله عليه وسلم – أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام... فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة [١].

وأسماء الله الحسنى تتناول كل ما تقوم عليه حياة المسلمين، فينبغي أن تكون الحياة كلهـــا مستهديةً بها، وذلك من شأنه إعلاء أهمية مقاصدها في التشريع الإسلامي.

لذا وجَّه الشاطبيٌّ–رحمه الله– المقاصد إلى خدمة تنزيل الأحكام على الواقع، فقرر أن العلم دون عمل مذموم شرعًا، وأن الشارع يُعرض عما لا يفيد عملًا مكلفًا به، وأن العمل المطلوب هو الخادم لمقصد التعبد، وَطَلَبُ الشَّارِعِ لكل علم شرعي إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى التَّعَبُّدِ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى[٢]

---

١ – إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ١/ ١١– ١٢.

٢ – انظر: الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ١/ ٣٦٧.

كما أن أساس بناء الدين الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وكلما كان الأساس راسخاً حمل البنيان بقوة وثبات " فمن أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيان، وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدَّم شيء من البنيان سهل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدَّم شيءُ من الأساس سقط البنيان... وهذا الأساس أمران: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته، والثاني تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه، فهذا أوثق أساس أسس العبد عليه بنيانه، وبحسبه يعتلى البناء ما شاء" (١).

وبتحقيق مقاصد الأسماء الحسنى يتحقق للمكلف طيب الحياة " فإن حياةَ الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته، وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأُنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فَقَدَ الخير كله، ولو تعرض عنها بما تَعَوَّضَ مما في الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا عن هذه الحياة، فمن كل شيءٍ يفوت العبد عِوَضٌ، وإذا فاته الله لم يُعَوِّضْ عنه شيء البتة " (٢).

فكل اسمٍ من أسماء الله الحسنى هو باب من أبواب الدخول على الله– جلَّل جلاله–" فالسير إلى الله من طريق الأَسماءِ والصفات شأْنه عجب، وفتحه عجب صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه" (٣).

المطلب الثاني: ضبط أفعال المكلفين بمقاصد أسماء الله الحسنى:

ثمرة الإيمان بأسماء الله الحسنى وأدلتها، ضبط أفعال المكلفين بأحكامها ومقاصدها، ولا يتحقق ذلك إلا بتنزيلها على الواقع، فأسماؤه مقتضية لآثارها من العبودية، وسبيل ذلك يكون " باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف، فمثلًا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالا له، وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقًا له وحمدًا له وشكرًا، وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكسارًا بين

١ – الفوائد: لابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م، ص ١٥٥– ١٥٦.

٢ – الجواب الكافي: لابن القيم، دار المعرفة – المغرب، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص ٨٤ .

٣ – طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن القيم، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ، ص ٢١٥.

يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة، وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارًا واضطرارًا إليه، والتفاتا إليه كل وقت، في كل حال... ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا لِلْكُمَّل من الموحدين " [1]. وهذا مُطَّرِد في جميع أنواع عبودية القلب والجوارح.

فإذا أيقن المكلف بأنَّ الله سميعٌ بصيرٌ عليمٌ لا يخفى عليه مثقالُ ذرةٍ في السموات والأرض، وأنَّه يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وأنَّه تبارك وتعالى أحاط بكلِّ شيء علماً، وأحصى كلَّ شيء عددًا، فمن عرَّف نفسه باطلاع الله عليه ورؤيته له وإحاطته به، فإنَّ ذلك يُثمرُ له حفظ اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كل ما لا يُرضي الله، وجَعْلَ تعلّقات هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، قال الله تعالى: { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى }[2]، وقال عزَّ اسمه: { وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[3]، وقوله: { اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[4]، فهذا يضبط سلوك المكلف، ويورث عنده خشيةَ الله ومراقبتَه، والإقبالَ على طاعته، والبعدَ عن مناهيه.

روى ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: " خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، **وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ**

---

١ – القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣، ص١٦١.

٢ – سورة العلق، الآية (١٤).

٣ – سورة الحجرات، الآية: (١) .

٤ – سورة فصلت، الآية: (٤٠).

رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّه، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ "[1].

فخوفته بالله– عز وجل– وأشارت إليه إلي إن أراد هذا بالحق فلا مانع عندها، لكن كونه يفض الخاتم بغير حق، هي لا تريده، تري أن هذا من المعاصي؛ ولهذا قالت له: اتق الله، فلما قالت له هذه الكلمة– التي خرجت من أعماق قلبها– دخلت في أعماق قلبه، وقام عنها وهي أحب الناس عليه، فأدركه خوف الله –عز وجل– فقام عنها وهي أحب الناس إليه[2].

وذُكِرَ أن أَعْرَابِيًا قَالَ: " خَرَجْتُ فِي بَعْضِ لَيَالِي الظَّلَامِ، فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ كَأَنَّهَا عَلَمٌ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: وَيْلَكَ أَمَا كَانَ لَكَ زَاجِرٌ مِنْ عَقْلٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَاهٍ مِنْ دِينٍ؟ فَقُلْتُ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ. قَالَتْ: فَأَيْنَ مُكَوْكِبُهَا؟ "[3]، **فتحول الاعتقاد إلى واقع عملي منزلًا على أرض الواقع، فإن يقنها باسم الله البصير ضبط سلوكها ومنعها اقتراف هذا الذنب والوقوع في هذه الخطيئة، فعلمت أَنَّ نظر النَّاظر إليها أسبق من نظرها إلى المنظور إليه.**

والخالق –جلَّ جلاله– يحب أسماءه ويحب ظهور آثارها في خلقه، وهذا من لوازم كماله، " فهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب

---

١ – أخرجه البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، ٣/ ٧٩ رقم ٢٢١٥.

٢ – انظر: شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ، ١/ ٨١.

٣ – اعتلال القلوب: للخرائطي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة–الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٤٤. وانظر: إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، ٤/ ٣٩٧، ذم الهوى: لاب الجوزي(ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ص ٢٧٢.

هذه الصفات فيه وجوداً وعدماً، فمن عفا عفا عنه ومن غفر غفر له ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة"(١).

فمن أنفع ما يضبط سلوك العبد مطالعة مقتضيات الأسماء الحسنى، والتأمل في موجباتها، وحسن دلالتها على كمال مبدعها، فإنه أحكمها غاية الإحكام، وكما أن أسماء الله الحسنى مقتضية لآثارها من العبودية، فإنها مقتضيةٌ لآثارها من الخلق والتكوين.

قال ابن القيم– رحمه الله–: " فاسمه الحميد، المجيد يمنع ترك الإنسان سدى مهملًا معطلًا، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه الحكيم يأبى ذلك، وكذلك اسمه الملك واسمه الحي يمنع أن يكون معطلًا من الفعل، بل حقيقة الحياة الفعل، فكل حَيٍّ فَعَّالٌ ، وكونه سبحانه خالقًا قيومًا من موجبات حياته ومقتضياتها، واسمه السميع البصير يوجب مسموعًا ومرئيًا، واسمه الخالق يقتضي مخلوقًا، وكذلك الرازق، واسمه الملك يقتضي مملكةً وتصرفًا وتدبيرًا، وإعطاءً ومنعًا، وإحسانًا وعدلًا، وثوابًا وعقابًا، واسم البر والمحسن، المعطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها، إذا عرف هذا، فمن أسمائه سبحانه الغفار، التواب، العفو فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولا بد من جنايةٍ تُغْفَرُ، وتوبةٍ تُقْبَلُ، ، وجرائم يُعفى عنها، ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه، إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها كاقتضاء اسم الخالق، الرازق، المعطي، المانع للمخلوق والمرزوق والمعطى والممنوع، وهذه الأسماء كلها حسنى"(٢).

فالتنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى وضبطه لأفعال المكلفين، يقي من الزلل ومقيل من العثرات ومرغب في الطاعات، ودافع للسخاء والبذل والإحسان، والسلوان في المصائب والآلام بسكون النفس وطمأنينة القلب، والفوز بالرضا والنجاة من السخط والعذاب، فيجعل المكلف مرجعه إلى خالقه وإقباله عليه، واجتهاده في نيل محابِّه، وعمله بما يرضيه، وبهذا تتحقق له سعادة الدارين.

---

١ – الوابل الصيب من الكلم الطيب: لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، ط٣، ١٩٩٩ م، ص٣٥.

٢ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ١/ ٤١٩.

المبحث الثاني: شروط التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى

المطلب الأول: التيقن من أن أسماء الله معللة:

من أسماء الله الحسنى " الحكيم"، قال تعالى:{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }[1]، قال الغزالي – رحمه الله- " ذو الحكمة... فهو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم، إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقةً لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة، ولا يتصف بذلك إلا علم الله سبحانه وتعالى"[2]، وحكمته جلَّ جلاله- تنزهه عن العبث، وبهذا تعلقت المقاصد بأسماء الله وصفاته.

والتنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى لا يتم إلا إذا تيقنا بأنها معللةٌ[3]، ولها في كل اسم مقصدًا، وعلينا البحث عنه، فالتعليل متعلق بأسماء الله- جلَّ جلاله- وصفاته، والتي منها اسم الله " الحكيم" وما يتضمنه من إثبات صفة الحكمة، "ومن لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله، ووضعه الأشياء في مواضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه، فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى"[4].

والقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لم يكتفيا بإصدار الالتزامات الاعتقادية دون بيان مغزاها، لتتفاعل النصوص الشرعية مع العقل وتحاوره وتقنعه، مُعَرِّفَةً له أنه ما من أمرٍ إلا فيه خير ونفع، وما من نَهْيٍ إلا لدفع شرٍ أو ضُرٍ، مصداقًا

---

[1] – سورة الأنعام، الآية (١٨).

[2] – المقصد الأسنى: للغزال، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص ١٢٠.

[3] – وسبب تأخر الدراسات عن ذلك اختلاف المتكلمين إلى فرق في "مسألة التعليل" : فالمعتزلة في مسألة التعليل جعلوا المصالح باعثة للشارع على التشريع، ومن ثمَّ أوجبوا عليه-جلَّ جلاله- فعل الصلاح لعباده، فرعاية الصَّلاح في فعله وَاجِبَة نفيًا للعبث في الحكم عَن حكمته، وإبطالًا للسفه عنهُ في إبداعه وصنعته. انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل: للقاضي عبدالجبار،٤/ ١١٣، ١١٤، متشابه القرآن: للقاضي عبدالجبار، ص٤١. والأشاعرة منهم من نفاه، قال الإمام أبوالحسن الأشعريّ-رحمه الله-: "وأجمعوا على أنه –عز وجل- غير محتاج إلى شيء مما خلق، وأنه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويعذب من يشاء، وينعم على من يشاء، ويعز من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويغني من يشاء، وأنه لا يسأل في شيء من ذلك عما يفعل، ولا لأفعاله علل؛ لأنه مالك غير مملوك، ولا مأمور ولا منهي" رسالة إلى أهل الثغر: لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، ص١٣٥-١٣٦. ووافقه الرازي، والآمدي، والباقلاني. انظر: مفاتيح الغيب، ٢/ ٣٧٩، غاية المرام في علم الكلام: للآمدي ، ص ٢٢٤، التمهيد: للباقلاني، ص٣٠. ومنهم من أثبته مثل: الغزالي، والجويني، وسعدالدين التفتازاني-رحمه الله- فقد علل في أفعال الله-جلَّ جلاله-: "وما أبعد عن الحق قول من قال: إنها غير معللة، فإن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاهتداء الخلق، وإظهار المعجزات لتصديقهم. فمن أنكر التعليل فقد أنكر النبوة" شرح التلويح على التوضيح: سعد الدين التفتازاني ،٢/ ١٢٦. وأثبتت الماتريدية التعليل واتفقت مع المعتزلة في إثباته، مع مخالفتهم في إيجابه على الله-سبحانه وتعالى- فالمصالح عند الماتريدية باعثة على التشريع تفضلًا من الشارع وليس إيجابًا عليه، ومتفقين مع الأشاعرة في عدم الإيجاب على الله تعالى.التوحيد، للماتريدي، ص١٠. ١٣٦. والأمر الذي تنبغي الإشارة إليه: أن جهود المتكلمين مثَّلت القواعد التي يقوم التعليل لأسماء الله الحسنى؛ لأن التعليل هو الأساس في التأصيل للتكاليف الشرعية بشقيها، سواء أكان العملي أو العقدي، فلهم السبق في وضع الأسس للمقاصد، ومن نفى التعليل تنظيرًا أقرَّ به تنزيلاً، وخير مثال على ذلك، الآمدي-رحمه الله- نفى التعليل في كتابه "غاية المرام" وأقرَّ به في كتابه " الإحكام" فقال: " فإنه لمَّا كانت الأحكامُ الشرعيةُ، والقضايا الفقهيةُ وسائلَ مقاصدِ المكلَّفين، ومناطَ مصالح الدنيا والدِّين، وأجلَّ العلومِ قدرًا وأعلاها شرفًا وذِكْرًا؛ لمَا يتعلَّقُ بها مِنْ مصالح العبادِ في المعاشِ والمعادِ، كانت أولَى بالالتفاتِ إليها وأجْدَرَ بالاعتمادِ عليها، وحيثُ كانَ لَا سبيلَ إلى استثمارها دونَ النَّظر في مسالكِها ولا مطْمَعَ في اقتناصها منْ غيرِ التفاتٍ إلى مداركِها، كان منَ اللازمات والقضايا الواجبات البحثُ في أغوارها، والكشفُ عَنْ أسرارها" الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي،١/٤.

[4] – مدارج السالكين، ١/ ٥٥.

لقــوله تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } (١)

وقد نص القرآن على مقاصد بعض العقائد، وتعليل إرسال الرسل–عليهم السلام– فمن أسمائه الرحمن، والرحيم ففي إرسال النبي–صلى الله عليه وسلم– قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }(٢)، فهذه الآية دلت على المقصد العام من بعثة النبي–صلى الله عليه وسلم– وأن مجيئه بالشريعة لبث الرحمة على العالمين جملةً وتفصيلًا، لأن الرحمة تتحقق بجلب المصالح ودفع المفاسد.

وقال عن عيسى–عليه السلام– { وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا}(٣)، وقال عن كتبه: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}(٤)، ولا تقتصر رحمة الله على الإنسان وحده، بل شملت جميع أجناس الحياة لقوله تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }(٥).

قال ابن عاشور–رحمه الله–: " فامتازت شريعة الإسلام بأن الرحمة ملازمةٌ للناس بها في سائر أحوالهم، وأنها حاصلةٌ بها لجميع الناس لا لأمة خاصة، وحكمة تمييز شريعة الإسلام بهذه المزية، أن أحوال النفوس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيأت بتطوراتها لأن تساس بالرحمة، وأن تدفع عنها المشقة إلا بمقادير ضرورية لا تقام المصالح بدونها، فما في الشرائع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدة وما في شريعة الإسلام من تمحض الرحمة لم يجرِ في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة، ولكن الله أسعد هذه الشريعة والذي جاء بها والأمة المتبعة لها بمصادفتها للزمن والطور الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم"(٦).

ومما هو حريٌّ بالتنبيه إليه: أن ابن عاشور يبرز لنا حقيقةً لا مراء فيها، لتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة تجاه الدين الحنيف، أنه لم يدعُ الناس إلى الجمود والتأسي القاصر، بل يطالب أهله بمواكبة الواقع وتجاوز الحواجز الزمانية والمكانية، لفتح آفاق المستقبل، فهو صالح لكل زمان ومكان، قابلًا للتطبيق في مختلف الظروف،

١ – سورة المؤمنون، الآية (١١٥– ١١٦)
٢ – سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).
٣ – سورة مريم، الآية (٢١).
٤ – سورة النحل، الآية (٨٩).
٥ – سورة الأعراف، الآية (١٥٦).
٦ – التحرير والتنوير، ١٧/ ١٦٨.

وخير دليل على ذلك أن إرسال الرسل تترا إلى الناس عبر تاريخ البشرية لم يكن مجرد تكرار، بل بناء جديد وتكميل لنمو العقل البشري ورقيه وازدهاره .

ومن أسماء الله الحسنى الواحد الأحد، الصمد، لقوله { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}(١)، وقوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ}(٢) .

ومن الحِكم المنوطة بهذه الأسماء: حسن التوجه إلى الله تعالى، وحماية العقل من التشتت الفكري، وطمأنينة القلب وعدم الشقاء، وهذا من أعظم المقاصد، فمن عَرَفَ أن الله واحدٌ أحدٌ فلا تتعب نَفسه بمراجعة الأغيار، ولا تتذلل لهم فترزح تحت منتهم وأذاهم، ولا تنحني رأسه أمامهم وتتملَّق لهم، ولا ترهق نَفسه فتلهث وراءهم ولا تخف منهم وترتعد إزاءهم، لأَن سلطان الكون واحدٌ، وعنده مفَاتيح كل شيء، وبيده مقود كل شيءٍ، وتَنْحَل عقد كل شيءٍ بأَمره، وتنفرج كل شدَّة بإِذنه، فَإِن وَجَدْتَهُ فقد ملكت كل شيءٍ، وفزت بما تطلبه، ونجوت من أثقال الْمَنّ والأَذى، وَمن أَسرِ الْخَوْف وَالوهم (٣).

قال الفخر الرازي–رحمه الله–: " فكثرة الآلهة توجب الفساد والخلل، وكون الإله واحدًا يقتضي حصول النظام وحسن الترتيب، فليس لغير الله حصول منفعةٍ ولا مَضَرَّةٍ من جهَته، أما الإله الواحد وحده يَقْدِرُ على إِيصال الخيرات ودَفْع الشرور والآفَات.

وكونه تعالى واحدًا يوجب عبادته، لأنه لو كان له ثانٍ لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور والآفات عنا، فيقع الشك في أنا نعبد هذا أم ذاك، ووقع العقل في حيرةٍ وتشتت الفكر بين هذا وذاك، مما يؤدي حتمًا إِلى فساد عبادة ما سوى الله من الأَوثان وغيرها، أَمَّا إِذا كان المعبود واحدًا ارتفع هذا الشك وحصل اليقين في أنه لا يستحق للعبادة إِلا هو ولا معبود للمخلوقَات والكائنات إِلا هو"(٤).

وكلام الرازي–رحمه الله– في حقيقته تعليل لأسماء الله الحسنى يخدم مبدأ المسئولية(٥)، ويجليه في الفكر والشعور، فالخالق الواحد هو الآمر والناهي، لا شريك معه يخشى فيطاع أو يرجى فيسأل، وإنما هو إله واحد، لذا فإن جوانب عظمة الأسماء الحسنى لا حصر لها، فإذا ما جئنا إلى من أي النواحي وتدبرنا ما فيها من الحِكَم المنوطة بها، من إكرامٍ رباني وإنعامٍ على الإنسان، لاندهشت القلوب وانشرحت

---

١ – سورة البقرة، الآية (١٦٣).

٢ – سورة الإخلاص، الآية (١– ٢).

٣ – انظر: حقيقة التوحيد: بديع الزمان سعيد النورسي(ت ١٣٧٩هـ)، دار سوزلر للطباعة والنشر ١٩٨٨م، ص١٤٠ .

٤ – مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ١٨/ ٤٥٩.

٥ – المسئولية تعني " كون الفرد مكلفًا" فهي التكاليف المتمثلة في قبول الأوامر والنواهي، فإن قام بذلك الإنسان أُثيب وإلا عوقب. انظر: دستور الأخلاق في القرآن: محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٣٦ .

وازدادت نورًا وزكاةً وطمأنينةً، وحينها تقوى عزائمها وتعلوا هممها، وتوقن بأن أسماءه جماع السّعادة في الدّنيا والآخرة.

وكذلك تعليل الرسول–صلى الله عليه وسلم– لكثيرٍ من التصرفات الإيمانية مثل تعليل زيارة القبور: روى أَبوهُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَبْرَ أُمِّه، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»(١).

فكان النَّهْيُ أَوَّلًا عن زيارة القبور سدًّا لذريعة الشِّرك، فلمَّا استقر التوحيدُ في نفوسهم، وقوىَ عندهم، أذِن فى زيارتِها، غير أن لا يقولوا هُجْرًا، أي: كلامًا باطلاً، والذى شرعه الرسول –صلى الله تعالى عليه وسلم– عند زيارة القبور: إنما هو تَذَكُّر الآخرة

وقوله –صلى الله عليه وسلم– « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ كُسُوفَ أَحَدِهِمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ»(٢).

قال ابن حجر–رحمه الله–: " وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، وقال الخطابي–رحمه الله–: كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موتٍ أو ضررٍ، فَأَعْلَمَ النبي– صلى الله عليه و سلم– أنه اعتقادٌ باطلٌ، وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله، ليس لهما سلطانٌ في غيرهما ولا قدرةٌ على الدفع عن أنفسهما، وفيه ما كان النبي– صلى الله عليه وسلم– عليه من الشفقة على أمته،وشدة الخوف من ربه"(٣).

وهذا يدل على مراعاة النبي–صلى الله عليه وسلم– لمقاصد الاعتقاد، إذ صحَّح معتقد الجاهلية في الكسوف، وبيَّن الغرض منه في تخويف العباد، وأنه لم يشغله حزنه الكبير على وفاة ابنه الصغير، عن تصحيح مفهوم عقدي خاطئ عند الناس، وفي هذا دليلٌ– لكل ذي لب سليم – على صدقه–صلى الله عليه وسلم–، وأنه يريد بيان الحق

١ – أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي–صلى الله عليه وسلم– ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، ٢/ ٦٧١ رقم ٩٧٦.

٢ – أخـرجه النسائي في سننه، كِتَابُ الْكُسُوفِ، بابُ كَيْفَ الْخُطْبَةِ فِي الْكُسُوفِ، ٣/ ١٥٢ رقم ١٥٠٢، قـــــال الشيخ الألباني: " صحيح" انظر: صحيح وضعيف سنن النسائي، ٤/ ١٤٦.

٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٢/ ٥٢٨، وانظر: نيل الأوطار: للشوكاني٣/ ٣٨٨.

بحق، فلو كان يريد التأييد من الناس، لصمت عن ذلك، ولكنه غضب وصعد المنبر لبيان الحقيقة.

المطلب الثاني: فَهْمُ أسماء الله الحسنى ومعرفة دلالتها:

إنَّ فهم أسماء الله الحسنى ومعرفة دلالتها شرط لا بد منه في التنزيل المقاصدي، فإن لم يكن المتصدي للتنزيل المقاصدي فاهمًا لمعانيها وعارفًا لدلالتها فإنَّه قد يجعل مقاصدها في غير موطنها.

وكلما كان المتصدي للتنزيل المقاصدي أعرفَ بأسماء ربه وما يستحقه من صفات الكمال ونعوت الجلال، وما يتنزّه عنه مما يضاد ذلك من النقائص والعيوب، ويتدبّر أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، ويتأمّلها اسمًا اسمًا، ويثبت ما دلّت عليه من معنى على وجه يليق بجلال الرب وكماله وعظمته، ويعتقد أنَّ هذا الكمال والعظمة ليس له منتهى، ويؤمن أنَّ كلَّ ما ناقض هذا الكمال بوجه من الوجوه فإنَّ الله تعالى منزّهٌ مقدّسٌ عنه، ويبذل ما استطاع من وسعه في معرفة أسماء الله وصفاته، كان موفقًا تنزيل مقاصدها وتحقيق مرامها.

رُوِي عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– : أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّة، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»[1].

ووجه ذكر حديث قل هو الله أحد؛ لأنها سورة تشتمل على توحيد الله وصفاته الواجبة له وعلى نفي ما يستحيل عليه من أنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وتضمنت أن الله واحد وأنه ليس بجسم؛ لأن الجسم ليس بشيء واحد بل هو أشياء كثيرة مؤلفة، فأحب هذا الصحابي رضي الله عنه الإكثار من قراءتها، ولهذا لما سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب ملازمته لقراءتها قال: لأنَّها صفة الرّحمن وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال: " أخبروه أنَّ الله يحبّه "، وفي رواية أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حُبُّك إياها أدخلك الجنة "، فدل ذلك على أنَّ حب العبد لأسماء الله وصفاته وملازمتَه تذكّرها واستحضار ما دلّت عليه من المعاني الجليلة اللائقة بكمال الرب

١ – أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي–صلى الله عليه وسلم– ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، ٢/ ٦٧١ رقم ٩٧٦.

وجلاله، والتفقّه في معانيها سببٌ عظيم من أسباب دخول الجنة، ونيل رضى الرب تبارك وتعالى ومحبته، كما هو الحال في قصة هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه[١].

فإن فهم أسماء الله ومعرفة دلالتها ليس مطلوبًا لذاته فحسب، وإنما يُراد به إعماله واستثماره في التنزيل المقاصد لها على أرض الواقع، ولما كان حفظ الدين أول المقاصد الضرورية التي أتت بها الشريعة، فكان لزامًا على كل متصدٍ لتفسير النصوص الشرعية أن يراعي مقاصد التشريع، لأن كل التكاليف الشرعية راجعةٌ إلى حفظ مقاصدها، قال الشاطبي–رحمه الله–: "تَكَالِيفُ الشَّرِيعَةِ تَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ مَقَاصِدِهَا فِي الْخَلْقِ"[٢].

ومن ثَمَّ فمجال فهم أسماء الله ومعرفة دلالتها، خير معين للمتصدي للتنزيل المقاصدي لها، فعليه فهمها، وتحري مقاصدها حتى يبصرها ويعرفها، ثم يجعل التوجه إليها قبلته، والأخذ بمقتضاها غايته، حتى يكون على نورٍ من ربه، مسددًا في ورده وصدره، ولقد أوصى الإمام الغزالي–رحمه الله– الفقيه المجتهد، فقال: " أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاءً للعلم ولا يكون عالمًا، ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالمًا إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحِكَمِ والأسرار، ومن كُشِفَ عن قلبه الغطاء، واستنار بنور الهداية، صار في نفسه متبوعًا مقلَّدًا فلا ينبغي أن يقلد غيره " [٣].

المطلب الثالث: التمكن من فقه المقاصد:

لا بدَّ أن يكون المتصدي للتنزيل المقاصد على وعي عميق بمقاصد الإسلام العقدية والفقهية والأخلاقية، والتمكن من هذا يكون بمعرفة أنواع المقاصد، ومراتبها، وآثارها، شمولية المقاصد وواقعيتها وأخلاقيتها..إلخ.

والذي يهمنا في هذا البحث المقاصد العقدية، لأن أسماء الله الحسنى تنتمي إلى الإلهيات، ومن ثَمَّ فإن المقاصد العقدية تتنوع إلى نوعين، **أحدهما:** باعتبار شمولها

١ – أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، بابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ٩/ ١١٥ رقم ٧٣٧٥.

٢ – الموافقات، للشاطبي ٢/ ١٧ .

٣ – إحياء علوم الدين ١/ ٧٨ .

لأبواب العقيدة، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: المقاصد العامة[١]، والمقاصد الخاصة [٢]، والمقاصد الجزئية [٣] .

والذي يهمنا في هذا البحث المقاصد العقدية، لأن أسماء الله الحسنى تنتمي إلى الإلهيات، ومن ثمَّ فإن المقاصد العقدية تتنوع إلى نوعين، **أحدهما:** باعتبار شمولها لأبواب العقيدة، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: المقاصد العامة[٤]، والمقاصد الخاصة[٥]، والمقاصد الجزئية[٦].

أما عن شمولية المقاصد وواقعيتها وأخلاقيتها، فذلك مستفاد من شمولية الشريعة لمختلف مجالات الحياة، ولكون تلك الشريعة معقولة المعنى ومعللة على الجملة وعلى التفصيل، ومن ثَمَّ فإن جميع المجالات الشرعية لها مقاصدها الشرعية، تتفاوت كما ذكرنا تفاوتًا ملحوظًا، وتختلف مقدارًا وكَمًّا، كما ترتكز المقاصد على الطابع الواقعي الذي يجسد حيويتها ومسايرتها على مختلف البيئات والظروف[٧].

وتأسيسًا على سبق: فإن المقاصد العقدية المقررة تتلقاها عقول العامة والخاصة بالقبول والتأييد، لما فيها من مسايرة الفطرة، إذ " لا بد من معرفَة ما في الخلق من الحكمة إذ لا يجوز فعل مثله عبثًا وما في من الدلالة على من أنشأه أَو على كَونه بنفسه أَو حدث أَو قدم، وكل ذلك مما لا سبيل إِلى العلم به إِلَّا بِالنّظرِ على أَن البشر خُصَّ بِمَلَكِ تدبير الخلائق والمحنة فيها، وطلب الأَصلح لهم في العقول واختيار

---

١ – هي المقاصد الملحوظة في جميع أبواب العقيدة، وتحتاج إلى استقراءِ عامٍ، وتتبعٍ غير يسيرٍ لنصوص الشرع وأحكامه، قَصْد تقريرها وتثبيتها، وهي من أهم أنواع المقاصد؛ لأنها تساعد على معرفة المقاصد الخاصة والجزئية، مثل: مقصد حسن التعرف إلى الله تعالى في باب الإلهيات، ومقصد إثبات التوحيد في باب النبوات، ومقصد الحساب والجزاء في باب السمعيات. انظر: علم المقاصد الشرعية: للخادمي، ص ١٩٣.

٢ – هي التي تتعلق بباب معين من أبواب العقيدة، ولها أهمية بالغة تتمثل في الكشف عن الوحدة الموضوعية لقضايا العقيدة، وربط بعضها ببعض، وبيان تناسقها وتكاملها، مثل المقاصد الخاصة بالنبوات.

٣ – هي المقاصد المتعلقة ببعض مسائل العقيدة، مثل: وكذلك مقاصد توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ومقاصد الإيمان بالملائكة، ومقاصد نعيم القبر وعذابه، ومقاصد ستر الآجال....إلخ

٤ – وهي التي" لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فُقِدَت لم تُجْرَ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين، وهي خمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال" الموافقات ١/ ٢٠. وأثرها في العقيدة يتمثل في حفظ الدين: يحفظ الدين بالتوحيد؛ لأن التوحيد الدين كله، قال تعالى: { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}الأنعام(٨٨) ، وحفظ النفس: وأعظم ما يحفظ به العبد نفسه التوحيد، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ–رضي الله عنهما–، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» أخرجه البخاري: رقم ٢٥، وحفظ العقل: وأعظم حفظ للعقل بالعقيدة، لأن الله–جلَّ جلاله– أمر بالتفكر في آياته وجعله سبيل المؤمنين في تدعيم إيمانهم. وحفظ النسل: ومن مقاصد الإسلام في النسل العلو والصيانة والحفظ، فحرَّم زواج المسلمة من الكافر؛ لأن فيه علو. وحفظ المال: وتتحقق عصمة المال بالتوحيد .

٥ – هي التي تحتاج إليها الأمة للتوسعة، ورفع الضيق والحرج والمشقة على المكلفين، ومن معالم رفع الضيق والحرج والمشقة على المكلفين في العقيدة الإسلامية: النهي عن الشرك، ونذم البدع والنهي عنها، وكذلك النهي عن كل ما يخالف الكتاب والسنة في مسائل الاعتقاد، فكل هذه الأمور فيها مشقة على المكلفين. ومن معالم التوسعة واليسر في العقيدة، إسقاط العقوبة على المكره، فمن أكره على الكفر فإنه لا يُحكم بكفره. انظر: علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي، ص ٧٢.

٦ – وهي ما شُرِع لتزيين الدين وجماله، ومن المقاصد التحسينية في العقيدة الإسلامية " حُسْن الخُلُق" فإنه ليس مجرد سلوك، ولكن منطلقاته عقدية.

٧ – انظر: الاجتهاد المقاصدي: للخادمي، ص٢٧.

المحاسن في ذلك واتقاء مضادة ذلك ولا سبيل إلى معرفَة ذَلك إلَّا باستعمال العقول بالنّظرِ في الأَشياء، على أَن مفزع الكل عند النوائب واعتراض الشّبَه إِلى النّظر في ذلك، والتأمل فَدلَّ أَنه يدل على الحقَائق ويوصل به إِليهَا"[1]

المطلب الرابع: تحصيل ملكة التنزيل:

فيجب على المتصدي لهذا المجال الإكثار من مطالعة كتب العقيدة والنوازل العقدية، ليعرف منها كيفية تطبيق مقاصد الأسماء الحسنى على الفتاوى الخاصة بالعقيدة.

وكذلك ممارسة تنزيل مقاصد أسماء الله تعالى حتى تثقله التجربة، ويكتسب الخبرة، فتتحصل له ملكة التنزيل التي بها يحسن تنزيل أحكام أسماء الله على وقائعها تنزيلًا مقاصديًا.

فإذا ألم المتصدي لهذا المجال بالتنزيل المقاصدي نظريًا، وجب عليه أن يتبع هذا العلم بالعمل، فملكة التنزيل صفة راسخة في النفس تعين المتصدي لهذا المجال على تطبيق مقاصد أسماء الله الحسنى على محالها، وبهذا يكون معايشًا لمعانيها ومقاصدها، ومحيطًا بأبواب العقائد، فمن ألم بأبواب العقائد نظريًا يكون أقدر على فهم أسماء الله ومقاصدها.

فمثلًا: من عاش في ضائقة مالية وظل يدعو الله حتى جاءه الفرج، فهو عاش معنى الدعاء، فإذا عرضت عليه مسألة من جنس التي عاش فيها، يستطيع تنزيل مقاصد أسماء الله كالرزاق، بأن الله رزقه بعد هذه الضائقة لما دعاه باسمه وحقق معاني هذا الاسم، وكذلك اسم الله الوهاب، والفتاح والقادر، والمقتدر، والجبار، بأن الله وهبه وفتح عليه وجَبَرَ بخاطره لما دعاه من قلبه منكسرًا له، وكذلك من عاش في أحداث متعلقة بالقضاء والقدر...ألخ.

ولا بدَّ أيضًا من الإحاطة بواقع النازلة، فلو أن أحدًا استفتى في فقدان ولده أو أحبته، أو عدم صلاح زوجه، فالمتصدي للتنزيل المقاصدي يستطيع أن يبين له أن هذا نوع من الابتلاء، وأنه يعمل على تحقيق العبودية لله باسمه الصبور الذي من شأنه يحب الصابرين، ويجزيهم بغير حساب.

---

١ – النظر المقاصدي: رؤية تنزيلية، محماد بن محمد رفيع، دار السلام–القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، ص٢٥–٢٦.

المطلب الخامس: ما يجب توافره في المتصدي للتنزيل المقاصدي:

لا شك أن المتصدي للتنزيل المقاصدي لا بد أن يكون ذا كفاءات عالية ومتنوعة تحظى فيه إجمالاً بشرطين اثنين، **أحدهما: الشرط التربوي:** ويتمثل في إيمانه وتقواه، لأن المقام مقام مسئولية عظيمة، وهي القيادة العلمية والفكرية للأمة. **والآخر: الشرط العلمي:** وهو الكفاءة العلمية اللازمة والخبرة في التخصص العلمي في هذا المجال(١).

وقد أشار الإمام الغزالي–رحمه الله– إلى هذه الشروط التربوية، بعد كلامه عن عقيدة القدر، فقال: " فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها، فأما إزالة الشبهة، وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة، فلا مفتاح له إلا المجاهدة، وقمع الشهوات، والإقبال بالكلية على الله تعالى، وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات، وهي رحمة من الله– عز و جل– تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق، وبحسب التعرض، وبحسب قبول المحل وطهارة القلب " (٢).

والمتأمل لكلام حجة الإسلام–رحمه الله– يجد أن نصّه هذا جمع الشروط التربوية التي يجب توافرها للمشتغل بالتنزيل المقاصدي إذا أراد أن تتجلى له المقاصد.

المبحث الثالث: التنزيل المقاصدي لاسم الله الشافي

المطلب الأول: التعريف باسم الله الشافي :

الشافي لغةً: من الفعل: شفَى(٣)، يُقال: شفى الله المريض يشفيه شفاءً فهو شافٍ، وشَفاهُ اللهُ من مَرَضِه يَشْفِيه شِفاءً: بَرَأَهُ، والمعنى: أن تعالى عافاه وأبرأه من مرضه وعلّته، وشُفي المريض، أي: برئ وتعافى، واستعاد صحّته وعافيته.

والشِّفَاء: وَهُوَ مَا يُبرئُ مِنَ السَّقَم، والجمعُ أَشْفِيَةٌ، واسْتَشْفَى فلانٌ: طلبَ الشِّفاء. وأَشْفَيْتُ فُلَانًا إِذَا وهَبتَ لَهُ شِفاءً مِنَ الدَّوَاء. وَيُقَالُ: شِفَاءُ العِيِّ السؤَالُ. وأَشْفَى زَيْدٌ عَمْرًا إِذَا وَصَفَ لَهُ دَوَاءً يَكُونُ شِفاؤه فيه، وأَشْفَيْتُك الشيءَ أَي أَعطيْتُكَ تَستَشْفي به. وشَفَاه بِلِسَانِه: أَبْرأَهُ. وشَفَاهُ وأَشْفَاهُ: طَلَبَ لَهُ الشِّفاءَ. وَيُقَالُ: أَشْفَاهُ اللهُ عسلًا إِذَا جَعَلَهُ لَهُ شِفاءً.

---

١ – النظر المقاصدي: رؤية تنزيلية، محماد بن محمد رفيع، ص٢٥–٢٦.

٢ – إحياء علوم الدين، ١/ ٩٩.

٣ – انظر: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال٦/ ٢٩٠، تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١١/ ٢٩٠، لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ،١٤/ ٤٣٦، تاج العروس من جواهر القاموس: للزَبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣٨/ ٣٨٢، معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٢/ ١٢٢٠.

الشَّافي اصطلاحًا: اسم من أسماء الله تعالى الوارد في القرآن فعلًا في قوله تعالى: { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } [1]، والثابت في السنة الصحيحة اسمًا وفعلًا، لما روي أَنَّ رَسُولَ اللَّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِه، قَالَ: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»[2].

وحديث عائشة – رضي الله عنها – في سِحْرِ النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»[3].

فالشافي: هو الذي يَشْفِي الصدور من الشبه والشكوك ، ومن الحسد وَالْغُلُولِ ، والأبدان من الأمراض والآفات ، لا يقدر على ذلك غيره ولا يدعى بهذا الاسم سواه. والشفاء: رفع ما يؤذي أو يؤلم عن البدن[4]. والشافي يبرئ من العلل المادية –علل الأبدان–، والعلل المعنوية –علل القلوب–.

والذي يهمنا في هذا الصدد دراسة اسم الله الشافي في ضوء المقاصد العقدية المتعلقة به، من أجل الكشف عن الغايات المتعلقة به، وأثرها في تعميق الإيمان، وتوجيه الفعل الإنساني، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الثاني: اليقين بأن الله وحده هو الذي يملك الشفاء:

واليقين: "إزاحة الشك وتحقيق الأمر. وتيقَّنْتُ بالأمر واستيقنت به، كلُّه واحدٌ" ويعني أيضًا:الاستقرار، يقال يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه" [5]، وقال الغزالي– رحمه الله–: "المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه" [6]. قال تعالى في شأن المؤمنين: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [7]

قال ابن مفلح–رحمه الله– : " فلم يجعل لهم ريبًا عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب، والريب يكون في علم القلب وعمله، بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في

---

١ – سورة الشعراء، الآية (٨٠).

٢ – أخرجه البخاري، كِتَابُ المَرْضَى، بَابُ دُعَاءِ العَائِدِ لِلْمَرِيضِ ٧/ ١٢١ رقم ٥٦٧٥، ومسلم، كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ ٤/ ١٧٢١ رقم ٢١٩١، واللفظ لهما.

٣ – أخرجه البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ تَكْرِيرِ الدُّعَاءِ ٨/ ٨٣ رقم ٦٣٩١.

٤ – انظر: الأسماء والصفات: للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ١/ ٢١٩.

٥ – تهذيب اللغة١٣/ ٤٥٧.

٦ – إحياء علوم الدين١/ ٧٣.

٧ – سورة الحجرات، الآية (١٥).

العلم، فلهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علمًا وعملًا، وإلا فإذا كان عالمًا بالحق ولكن المصيبة أو الخوف أورثه جزعًا عظيما لم يكن صاحب يقين."[١].

وهذا مقصد عظيم من مقاصد اسم الله الشافي، ومعناه: الإيمان الجازم الذي لا يخالطه ريب بأن الله وحده الذي منه الشفاء، شفاء القلوب من الشبهات والشهوات، وشفاء الأبدان من الأسقام والآفات، فهو وحده المتفرد بالشفاء، خالق الخلق ومدبر شئونهم ومصرف أمورهم، فالأمر كله له وإليه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم– عليه السلام–: { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}[٢]، أي: إذا وقعت في مرض، فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه. وأضاف المرض إلى نفسه وهو حادث بقدرة ربه أدبا منه مع ربه[٣].

يقول الإمام الشعراوي– رحمه الله–: " وقد تسأل في قوله تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} ولماذا نذهب إلى الطبيب إذن؟ نقول: الطبيب يعالج، وهو سبب للشفاء، أمّا الشفاء

فمن الله، بدليل أن الطبيب ربما يمرض، ويعجز هو عن شفاء نفسه، وقد يعطي المريض حقنة ويكون فيها حَتْفه"[٤].

وسائل تحقيق هذا المقصد:

<u>أولًا: قراءة القرآن وتدبره:</u>

فالقرآن الكريم شفاءٌ لما في الصدور من أمراض الشُّبَه، والشكوك، والشهوات، وإزالة ما فيها من رجس ودنس، وكذلك الشفاء من علل الأبدان، قال تعالى: { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [٥]، وقوله عزَّ اسمه:{ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ }[٦]، وقال جلَّ جلاله: :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }[٧].

---

١ – الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)، عالم الكتب، ١/ ٣.

٢ – سورة الشعراء، الآية (٨٠).

٣ – انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ، ٦/ ١٣٣، تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، ١٩/ ٧٢.

٤ – تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٧/ ١٠٥٩٤.

٥ – سورة الإسراء، الآية (٨٢).

٦ – سورة فصلت، الآية (٤٤).

٧ – سورة يونس، الآية (٥٧).

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ يَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنَا أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، فَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا» (١).

قال ابن القيم–رحمه الله– : " فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلُّ أحدٍ يُؤهل ولا يُوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدقٍ وإيمانٍ، وقبولٍ تامٍ، واعتقادٍ جازمٍ، واستيفاءِ شروطه، لم يُقاومه الداء أبدًا.

وكيف تُقاوم كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال، لصدَّعها، أو على الأرض، لقطَّعها، فما من مرضٍ من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيلُ الدلالة على دوائه وسببه، والحَمِيَّة منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه" (٢).

فالله هو الشافي من الأمراض والعلل والشكوك، وشفاؤه، "وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ بَعْضَ الْكَلَامِ لَهُ خَوَاصُّ وَمَنَافِعُ مُجَرَّبَةٌ، فَمَا الظَّنُّ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي فَضْلُهُ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ، وَالْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ، وَالنُّورُ الْهَادِي، وَالرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ الَّذِي لَوْ أُنْزِلَ عَلَى جَبَلٍ؛ لَتَصَدَّعَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ" (٣).

ثانيًا: الدعاء:

ينبغي على العبد أن يدعو الله وقلبه موقن بالشفاء، لما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ " (٤).

والله سبحانه يستجيب دعاء عبده الذي عرفه بأسمائه الحسنى وصفات العليا، واستجاب لأمره واجتنب نواهيه، وامتلأ قلبه باليقين، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(٥).فكم من مريضٍ أثقله مرضه وكان الدعاء سبيله، والواقع خير شاهد لدعاء الموقنين وشفائهم.

---

١ – أخرجه البخاري كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٧/ ١٣٣ رقم ٥٧٥١.

٢ – زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٥ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ١/ ٢٦٦.

٣ – نفس المرجع ٤/ ١٦٢.

٤ – أخرجه الترمذي في سننه، ٥/ ١١٧ رقم ٣٤٧٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٦٧٠ رقم ١٨١٧، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ مُسْتَقِيمُ الْإِسْنَادِ.

٥ – سورة البقرة، الآية (١٨٦).

ثالثًا: الحجامة والعسل:

قال تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(١).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ – أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ – خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ "(٢).

وروي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا»(٣).

رابعًا: الرقية:

كان النبي – ص صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لى الله عليه وسلم – يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله كما كان يرقي نفسه بالقرآن، فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»(٤).

وروي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟» ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»(٥).

---

١ – سورة النحل، الآية (٦٩).

٢ – أخرجه البخاري كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ الدَّوَاءِ بِالعَسَلِ ٧/ ١٢٣ رقم ٥٦٨٣.

٣ – أخرجه البخاري كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ الدَّوَاءِ بِالعَسَلِ ٧/ ١٢٣ رقم ٥٦٨٤.

٤ – أخرجه البخاري كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٧/ ١٣٣ رقم ٥٧٤٥

٥ – أخرجه مسلم، كتاب السَّلَامِ، بَابُ جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ ٤/ ١٧٢٧ رقم ٢٢٠١.

قال النووي–رحمه الله–: "فيه التَّصريحُ بأَنّها رُقْيَةٌ فيُستحبُّ أَن يُقرأَ بها على اللَّديغِ والمريض وسائر أَصحاب الأَسقام والعاهات" [1]، وقال المَازِرِيُّ: "جميعُ الرُّقَى جائزةٌ إذا كانت بكتاب اللَّه أَو بذكره، ومنهيٌّ عنها إذا كانت باللغة العجميَّة أَو بما لا يُدرى معناه لجواز أَن يكونَ فيه كفرٌ"[2].

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: " قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته .

الثاني: باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى" [3].

خامسًا: الحبة السوداء:

روي عن أبي هريرة–رضي الله عنه– قال: سمعت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ هَذِهِ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا مِنَ السَّامِ» قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: المَوْت [4].

سادسًا: ماء زمزم:

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ– رضي الله عنهما–، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ "[5].

قال ابن القيم–رحمه الله–: " وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبةً، وَاسْتَشْفَيْتُ به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله"[6].

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه: أن مشروعية الوسائل التي تحقق الشفاء لا تعني بالضرورة ترك التداوي بالأدوية المصنعة، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

---

١ – الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: للسيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية –الخبر، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، ١٤/ ١٨٨.

٢ – نيل الأوطار: للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ٨/ ٢٣١.

٣ – فتح الباري ١٠/ ١٩٥، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للمباركفوري ، ٥/ ٢٢٣.، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ٦/ ٣٧٨.

٤ – أخرجه البخاري كِتَابُ الطِّبِّ، بابُ الحبَّةِ السَّوْدَاءِ ٧/ ١٢٤ رقم ٥٦٨٨.

٥ – أخرجه ابن ماجه، بابُ الشُّرْبِ، مِنْ زَمْزَمَ ٢/ ١٠١٨ رقم ٣٠٦٢.

٦ – الطب النبوي: لابن القيم، ص ٢٨٩.

المطلب الثالث: حسن التوكل على الله واللجوء إليه:

التعريف بهذا المقصد وتحقيقه وتنزيله على الواقع:

قال الجرجاني: التوكل: "هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس"[١]، وقال الإمام أبو زهرة: "والتوكل هو تفويض الأمر لله تعالى بعد أخذ الأسباب، فلا يظن أن الأسباب وحدها كافية، بل إنه لا بد من الاعتماد على الله تعالى بعد الأخذ في الأسباب، والعناية بها" [٢].

وحقيقة التوكل " هو صدق اعتماد القلب على الله –عز وجل– في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلِّها، وكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه."[٣].

ومما هو حريٌّ بالتنبيه إليه: أنه لا بدَّ للعبد من اعتماد مباشرة الأسباب مع اعتماد القلب على الله في حصول الشفاء، ودفع المرض والابتلاءات، فهذا تحقيقاً لتوحيد الله في الأسماء الحسنى وإلا كان معطلًا لحكمة الله وشرعه.

قال ابن رجب–رحمه الله–: " واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به"[٤].

فمن جملة المقرّرات الشرعيّة الحضّ على التداوي والندب إليه، وعلى العبد أن يوقن بأن الأدوية لا تنجح بذواتها، بل بما قدره الله فيها، فقد يأخذ رجلان نفس الدواء ويشفى أحدهما ولا يُشْفى الآخر.

الأمور التي يتحقق بها التوكل واللجوء إلى الله:

لا يتم التوكل ولا يتحقق إلا بأمرين اثنين أشار إليهما ابن القيم[٥]، –رحمه الله–:

أحدهما: معرفة الله بأسمائه وصفاته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات

---

١ – التعريفات، ص٧٠.

٢ – زهرة التفاسير: لأبي زهرة، دار الفكر العربي، ص ٥٤١٧.

٣ – جامع العلوم والحكم : لا بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م،٢/ ٤٩٧.

٤ – نفس المرجع ٢/ ٤٩٨.

٥ – انظر: مدارج السالكين ٢/ ١٢٠– ١٢١.

العالم سفليه وعلويه؟! ولا هو فاعل باختياره؟! ولا له إرادة ومشيئة، ولا يقوم به صفة؟! فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف.

والآخر: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، فلَا يَنْفَعهُ قَوْله توكلت على الله مَعَ اعْتِمَاده على غَيره، وركونه إِلَيْهِ وثقته بِهِ، فتوكل اللِّسَان شَيْء وتوكل الْقلب شَيْء.

قال أبو حاتم الدارمي–رحمه الله–: " التوكل هو نظام الإيمان وقرين التوحيد وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة وما توكل أحد على اللَّه جل وعلا من صحة قلبه حتى كان اللَّه جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكله اللَّه إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب "[1].

<u>أثر التوكل واللجوء إلى الله في تحقيق الشفاء:</u>

قال ابن القيم– رحمه الله–: " فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها؛ فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فــلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية." [2].

فحريٌّ بكل من أصابه مرضٌ أو ابتلاءٌ أن يُلقِيَ أموره كلها إلى الله وينزلها به طلبًا واختيارًا لا كرهًا واضطرارًا، ولنضرب مثلًا من واقع حياتنا أن الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره يلقي كل أموره إلى أبيه، العالم بشفقته عليه ورحمته، وتمام كفايته وحسن ولايته له وتدبيره له، فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه، وقيامه بمصالحه وتوليه لها خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من إلقاء أموره كلها إلى أبيه وراحته من حَمْلِ كُلَفِهَا وَثِقَلِ حِمْلِهَا ،

---

١ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ص١٥٣.

٢ – مدارج السالكين ٢/ ١٢٠.

مع عجزه عنها وجهله بوجوه المصالح فيها، وعلمه بكمال علم من فوض إليه وقدرته وشفقته[١] .

والله وحده –جلَّ جلاله– بيده النفع والشفاء وكشف الضر، قال تعالى: { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[٢].

فالنفع والضر بيد الله وحده، وليس في استطاعة أي مخلوق أن يمنعه إذا أراده الله، فلأمر كله له وبيده، فلا حاجة للجوء إلى غيره.

فكيف نطلب كشف الضر من غير الله او نطلب المنفعة من عند غير الله، وكيف لا يكون الغالب على قلوبنا طلب كشف الضر وطلب النفع من عنده وحده، اذا علمنا أن ذلك كله إنما هو بيده وحده، فالأمر كله له لا يملك أحد معه منه شيئًا، فلا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بأذنه ومشيئته، يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عمن يشاء، وإن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا بضر ولا عطاء ولا منع بل ربه سبحانه الذى خلقه ورزقه وبصره وهداه وأسبغ عليه نعمة وتحبب إليه بها مع غناه عنه ومع تبغض العبد إليه بالمعاصى مع فقره إليه، فإذا مسه الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإذا أصابه بنعمه فلا رادَّ لها ولا مانع [٣].

<u>درجات التوكلُ:</u>

التوكل على الله على ثلاثِ درجات: أولها: تركُ الشِّكاية، والثانية: الرضا، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضا سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبَّةُ أنْ يكون حُبُّه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين.

فالمتوكل على الله إنْ صبر على ما يُقدِّرُه الله له من الرزق أو غيره، فهو صابر، وإنْ رضي بما يُقدر له بعد وقوعه، فهو الراضي، وإنْ لم يكن له اختيارٌ بالكليَّة ولا رضا إلا فيما يقدر له، فهو درجة المحبين العارفين[٤].

---

١ – انظر: مدارج السالكين ٢/ ١٢٢.

٢ – سورة يونس، الآية (١٠٧).

٣ – انظر: آداب النفوس: أبو عبد الله حارث بن أسد المحاسبي(ت٢٤٠هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤م، ص ١٩٤، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٢٧٣، إغاثة اللهفان، ص٣٣.

٤ – انظر: جامع العلوم والحكم ٢/ ٥٠٩.

المطلب الرابع: عدم اليأس من رحمة الله عند الابتلاء أو المرض:

التعريف بهذا المقصد وتحقيقه وتنزيله على الواقع:

اليأس: هو الْقطع على أَن الْمَطْلُوب لَا يتَحَصَّل لتحقيق فَوَاته، وهو تصور في النفس بفقدان الأمل في التخلص مما تعانيه من ظروف وأحوال، وهو عكس التفاؤل(١).

فيجب على العبد ألا ييأس من تأخّر البرء إيمانًا جازمًا بأن قضاء الله للعبد خيرٌ من قضاء العبد لنفسه، وتسلية النفس بتذكّر أحوال أنبياء الله تعالى الذين ألمّت بهم الأمراض والأوجاع فلم يُقابلوها إلا بالصبر واحتساب الأجر.

بل قد يكون البلاء نعمة، فإن كان العبد مؤمنًا صادقًا علم أن الله ما ابتلاه إلا ليعافيه، وما حرمه إلا ليعطيه، وما أمرضه إلا ليشفيه، وما أنزل عليه البلاء إلا ليصبر فيجازيه، لأن الله –جلَّ جلاله– إذا أحب عبدًا ابتلاه وعجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أبغض عبدًا أمسك عنه ذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة، وبيان ذلك كالآتي:

روي عَنْ أَنَس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِه الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِه الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِه حَتَّى يُوَافِيَ بِه يَوْمَ القِيَامَة»، وَبِهَذَا الإِسْنَاد عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٢).

وروى الحاكم في مستدركه، أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَاللَّهِ لَا يُلْقِي اللَّهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٤).

وعن عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُود–رضي الله عنه– قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ»

---

١ – انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص ٦٣٣.

٢ – أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦٠١ رقم ٢٣٩٦.

٣ – أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٩٥ رقم ٧٣٤٧، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

٤ – أخرجه البخاري، كِتَابُ المَرْضَى ، بَابُ شِدَّةِ المَرَضِ، ٧/ ١١٥ رقم ٥٦٤٦.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١).

فهذا البلاء لا يعني أن الله ساخط على عبده، بل قد يكون علامة من علامات المحبة، وما جاء في هذه الأحاديث يدل دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيمانًا، ازداد ابتلاءً وامتحانًا، والعكس بالعكس، ففيها رد على ضعفاء العقول والأحلام الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء كالحبس أو الطرد أو الإقالة من الوظيفة ونحوها أن ذلك دليل على أن المؤمن غير مرضي عند الله تعالى! وهو ظن باطل، فهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أفضل البشر، كان أشد الناس بلاءً، فما من نوعٍ من أنواع البلاء إلا ابتلي به فكان إمام الصابرين، فالبلاء غالباً دليل خير، وليس نذير شر.

الوسائل التي يتحقق بها هذا المقصد:

–التيقن بأن الدنيا ليست دار بقاء:

إذا أيقن العبد بأن الدنيا ليست دار بقاء، وأن الله قد يبتلي العباد فيها ويختبرهم؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليتبين الصبور من الجزوع، وهو معلوم عند ربه، وإنها مجرد معبر نعبر منه إلى دار البقاء الحقيقي كما أكد القرآن في كثرٍ من آياته، وأن الله يبتلي عباده فيها وأنها لم تطبع على السعادة، بل طُبِعت على الكدر، فلم ييأس من رحمة ربه حال ابتلائه، كما قال التهامي(٢).

حكمُ المنيَّة في البريَّة جـــارِ ما هذه الدنيا بدار قـــرارِ
بينا يُرى الانسانُ فيها مخبراً حتى يُرى خبراً من الاخبار
طُبعت على كدرٍ وأنت تريدُها صفواً من الأقذاء والأكدار

–الابتلاء كفارة للذنوب:

إذا أيقن العبد بأن المرض أو الابتلاء الذي وقع عليه كفارةٌ لذنوبه اطمأن قلبه، وهدأت نفسه، ولم ييأس من رحمة الله وإن اشتد عليه البلاء.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ – رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرِضَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَلَائِكَتِه: يَا مَلَائِكَتِي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي بِقَيْدٍ مِنْ قُيُودِي فَإِنْ أَقْبِضْهُ أَغْفِرْ لَهُ وَإِنْ أُعَافِهِ فَحِينَئِذٍ يَقْعُدُ وَلَا ذَنْبَ لَهُ " (٣) .

١ – أخرجه البخاري، كِتَابُ المَرْضَى ، بَابُ وَضْعِ اليَدِ عَلَى المَرِيضِ، ٧/ ١١٨ رقم ٥٦٦٠.
٢ – ديوان علي بن محمد التهامي، ص ٢٧٦.
٣ – أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ٣٤٨ رقم ٧٨٧١. وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ".

وعَنْ أَنَسٍ–رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٢).

فإذا كانت الشوكة وهي أدنى أنواع المرض تكفر الخطايا فمن باب أولى كل مرض فوقها يكفر الخطايا، وهذا مسلك الشرع الحنيف إذا نبه على الأدنى فهو تنبيه على الأعلى من باب أولى، بل ويكتب الله له من الأجر ما كان يفعله في حال صحته، فالمرض يقعد بعض الناس عن فعل الخيرات، والمريض بنيته الصادقة يكتب له أجره.

روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، إِلَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ، قَالَ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنَ الْخَيْرِ، مَا دَامَ مَحْبُوسًا فِي وَثَاقِي "(٣).

– مراجعة النفس:

ويتحقق أيضًا عدم اليأس عند الابتلاء إذا راجع المؤمن نفسه، " فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيسَ منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة فرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثيرٍ من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تُسرع إليه حينئذ إجابةُ الدعاء وتفريجُ الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله " (٤).

ومن ينظر إلى نعيم الآخرة يهون عليه عذاب الدنيا، ومن يعلم أن الله يحبه وهو أقرب ما يكون منه حال مرضه لن ييأس أو يحزن أبداً، وفي ذلك علاج ودواء؛ لأن الحزن واليأس يُزيدان المرض ويجعلان مقاومة الجسم للأمراض تقل بل تنهار وتنهزم عن مقاومة المرض.

---

١ – أخرجه الترمذي في سننه، ٤/٦٠١ رقم ٢٣٩٦.

٢ – أخرجه البخاري، كتاب المرضى، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ ٧/ ١١٤ رقم ٥٦٤١.

٣ – أخرجه أحمد في مسنده، ٦/ ٣٤٨ رقم ٦٨٧٠، والدارمي في سننه، ٣/ ١٨٢٣ رقم ٢٨١٢.

٤ – جامع العلوم والحكم ١/ ٤٩٤.

وأن يوقن بأن الأمراض والأسقام من سنن الحياة التي لابد منها، ولا انفكاك عنها، كتبها الله جلّ جلاله وقدّرها لتُذكّر الناس بالنعمة المنسية على الدوام: نعمة الصحة والعافية، ولولا الأمراض لما تذكّر أحدٌ افتقاره إلى خالقه وحاجته إليه في كشف البلاء وتخفيف الشدّة.

والحذر كل الحذر من تمني الموت عند اشتداد المرض، فعَنْ هِنْدِ بِنْتِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَعَبَّاسٌ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْتَكِي، فَتَمَنَّى عَبَّاسٌ الْمَوْتَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمِّ، لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَزْدَدْ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ فَتُسْتَعْتَبْ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ»[1].

١ – أخرجه أحمد في مسنده، ٤٤/ ٤٤٤ رقم٢٦٨٧٤.

الخاتمة

أولًا: نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولًا: التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى: هو تطبيقها على محالِّها في الواقع بما يحقق مقاصدها، وزيادة فهمها، وتعميق الإيمان بها، والإجابة عن قضايا العصر اعتقادًا، وتوجيه الفعل الإنساني وتسديده.

ثانيًا: أسماء الله الحسنى مجالٌ خصب للتنزيل المقاصدي؛ لتعزيز الإيمان بها.

ثالثًا: التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى هدفه: تحقيق مقاصدها، وضبط الواقع الإنساني بها.

رابعًا: تنزيل أسماء الله الحسنى مقاصديًا يتم بأربعة شروط، وهي: التيقن من تعليلها، وفهم معانيها ومعرفة دلالتها، والتمكن من فقه المقاصد ولواحقه، وتحصيل ملكة التنزيل.

رابعًا: أسماء الله الحسنى مجالٌ خصب للتنزيل المقاصدي في ضوء مشكاة الوحي.

خامسًا: التنزيل المقاصدي لأسماء الله الحسنى يزيد المكلف إيمانًا بدينه ورسوخًا في معتقده، لعلمه أن الشارع–جلَّ جلاله– حكيمٌ منزهٌ عن العبث، لا يشرع لعباده إلا ما فيه خير وصلاح.

سادسًا: حاجة النصوص المتعلقة بأسماء الله الحسنى للتنزيل المقاصدي لا تقل أهمية عن النصوص المتعلقة بالأحكام الفقهية، لأن العقيدة هي الأصل الذي تنبثق منه هذه الأحكام، وأي خلل فيه يؤدي إلى الخلل في الحكم الفقهي .

سابعًا: لكي تستعيد عقائدنا وجهها الحقيقي وتؤدي دورها، وتستعيد موقعها الأساسي في حياتنا وعلومنا وثقافتنا، لابد من دراستها والتعامل معها في ضوء مقاصدها وتنزيلها على الواقع.

ثامنًا:ابتناء أسماء الله الحسنى على رعاية مصالح المكلفين،ودرء المفاسد عنهم في الدارين.

تاسعًا: التنزيل المقاصدي، يُعَزِّزُ الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

ثانيا: توصيات الدراسة:

أولًا: ضرورة التوسع في مقاصد العقائد وبيان ضوابط تنزيلها.

ثانيًا: أهمية التوسع في الدراسات المقاصدية حول أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

ثالثًا: ضرورة عمل دراسات مقاصدية حول جهود العلماء الذين اتضحت عندهم التنزيل المقاصدي في مجال العقيدة، مثل: الإمام الغزالي، وابن القيم، وابن رجب.

المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج (ت ٧٦٣هـ)، عالم الكتب.

٣- آداب النفوس: أبو عبد الله حارث بن أسد المحاسبي(ت٢٤٠هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤م.

٤- الأسماء والصفات للبيهقي: أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة ، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

٥- الاجتهاد المقاصدي: نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة الرشد–الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦- اعتلال القلوب: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة– الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض،.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠- تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

١١- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

١٢- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٣- التمهيد، لأبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، المكتبة الشرقية–بيروت، ١٩٥٧م.

١٤- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٥- جامع العلوم والحكم في: لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط١، ١٤٢٢هـ.
١٧- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٨- حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي: بديع الزمان سعيد النورسي(ت ١٣٧٩هـ)، دار سوزلر للطباعة والنشر ١٩٨٨م.
١٩- دستور الأخلاق في القرآن: محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨هـ .
٢٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٢١- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، ط١، ١٤١٦هـ.
٢٢- ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.
٢٣- رسالة إلى أهل الثغر: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

٢٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٥- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٥ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٢٦- زهرة التفاسير: لأبي زهرة، دار الفكر العربي.
٢٧- شرح التلويح على التوضيح: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح بمصر.
٢٨- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
٢٩- شرح صحيح البخارى: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٣٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣١- الطب النبوي: لابن القيم، دار الهلال – بيروت.
٣٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.
٣٣- غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
٣٤- فقه الأدعية والأذكار:عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر،الكويت،ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٥- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
٣٦- القول السديد شرح كتاب التوحيد: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣.

٣٧- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
٣٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٣٩- متشابه القرآن: للقاضي عبدالجبار، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية–بيروت.
٤٠- مدارج السالكين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
٤١- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط٣ – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط – وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٤٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
٤٥- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٤٦- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٤٧- المغني في أبواب التوحيد والعدل: للقاضي عبدالجبار، تحقيق خضر محمد نُبهار، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت.
٤٨- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٤٩- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥٠- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥١- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص ٦٣٣.

٥٢- نيل الأوطار:محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٥٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، ط٣، ١٩٩٩ م.